

بحث بعنوان / سورة النور وأثرها في تأسيس المجتمع المسلم دراسة موضوعية

الباحث : د فتحي صالح معتوق بعيح

جامعة طرابلس / كلية الآداب السواني / قسم الدراسات الإسلامية .

ملخص البحث - باللغة العربية:

تُبرز سورة النور منهج الإسلام في بناء المجتمع المسلم، إذ جمعت بين التشريعات والأخلاق، فشرعت أحكام الزنا والقذف واللعان، ونظمت آداب الاستئذان و غص البصر، ورسخت قيم العفة والطهارة وصيانة الأعراض. كما تناولت قصة الإفك لتربية الأمة على الصدق وحفظ اللسان. وبهذا أسست السورة لمجتمع متماسك يقوم على الإيمان والالتزام والطهر، محققاً الاستقرار والكرامة للأفراد والأمة..

Abstract

Surah An-Nur highlights Islam's approach to building the Muslim society by combining legislation with ethics. It established rulings on adultery, slander, and li'an, organized the etiquettes of privacy and lowering the gaze, and reinforced values of chastity, purity, and protection of honor. The Surah also addressed the incident of the slander (Ifk) to cultivate truthfulness and restrain the tongue. Thus, it laid the foundation for a cohesive society based on faith, commitment, and purity, ensuring stability and dignity for individuals and the entire community.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدى للناس وبيانا، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القيم الاجتماعية تمثل أحد المرتكزات الأساسية في بناء المجتمعات الإسلامية؛ لأنها تنظم علاقة الفرد بأسرته ومجتمعه، وتُرسِّخ مفاهيم العفة والستر والتعاون والتثبت، كما تُقوي النسيج الاجتماعي وتُجَنِّب الأمة الوقوع في الفوضى والانحلال.

وقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بغرس هذه القيم في النفوس، وبيّن تفاصيلها بأسلوب رباني حكيم، ومن أبرز السور التي تناولت منظومة القيم الاجتماعية بعمق سورة النور، فهي سورة مدنية جاءت بمجموعة من التشريعات والآداب التي تحكم حياة الأفراد داخل المجتمع، وتؤسس لمجتمع طاهر نقي يقوم على الصدق والستر وغيض البصر، وحفظ الأعراض، وضبط العلاقات الأسرية والاجتماعية.

يقول الله تعالى في مطلع السورة: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (1) وهذا يدل على أهمية ما ورد فيها من تشريعات، فبدأها المولى بقوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ وهذه التشريعات كلها يتعلق بالقيم الاجتماعية التي يحتاجها كل مسلم ومسلمة. وتبرز في السورة قيم عظيمة مثل: العفة، غيض البصر، الاستئذان، الستر، التثبت من الأخبار، نبذ الشائعات، وتطهير القلوب من سوء الظن، وهي قيم لو استُمسك بها لعاش الناس في أمنٍ وأمان، وقلّ فيهم الفساد والافتراء.

(1) - سورة النور، الآية 1

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في تأكيد أهمية هذه القيم: " يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ" (1) .

من هنا جاءت فكرة هذا البحث لتسليط الضوء على القيم الاجتماعية التي تضمنتها سورة النور، وبيان أثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، وللإجابة عن التساؤل الرئيس: ما أبرز القيم الاجتماعية التي وردت في سورة النور؟ وكيف تسهم في بناء مجتمع إسلامي متماسك؟ وهذا ما سأجيب عليه في هذا البحث - بعون الله -.

سبب اختيار الموضوع

وقد تم اختيار هذا الموضوع لما له من أهمية كبيرة في ظل ما يواجهه العالم المعاصر من خلل أخلاقي كبير، وتفكك في العلاقات الاجتماعية، ولحاجة الأمة إلى الرجوع إلى منهج القرآن الكريم في تقويم السلوك وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع. إشكالية البحث:

ما أبرز القيم الاجتماعية التي وردت في سورة النور؟ وما منهج القرآن الكريم في غرسها في النفوس؟ وما مدى ارتباطها ببناء مجتمع متماسك ومتزن أخلاقياً؟ أهداف البحث:

- إظهار القيم الاجتماعية التي تضمنتها سورة النور.
- بيان أثر تلك القيم في ضبط سلوك الأفراد والمجتمع.
- توضيح المنهج القرآني في ترسيخ القيم الاجتماعية.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في تعظيم المؤمن ، رقم الحديث : (2032) . وقال حديث حسن غريب

• دراسة الآيات وتحليلها تحليلاً لغوياً وموضوعياً في سياقها الاجتماعي.

أهمية البحث:

- بيان الجوانب الحضارية والاجتماعية في القرآن الكريم.
- إظهار دور القرآن الكريم في بناء مجتمع فاضل متماسك.
- الإسهام في تأصيل الفهم السليم للقيم في ظل التحديات المعاصرة.

منهج البحث:

- المنهج الموضوعي: بجمع الآيات ذات العلاقة وتحليلها.
- المنهج التحليلي: ببيان الألفاظ ودلالاتها السياقية.
- المنهج المقاصدي: باستقراء مقاصد السورة في الجانب الاجتماعي

خطة البحث

قسمت بحثي هذا إلى ثلاث مباحث في كل مبحث ثلاث مطالب تقريباً على النحو الآتي :

المبحث الأول: الخصائص العامة لسورة النور

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النور.

المطلب الثاني: الطابع الاجتماعي في سورة النور

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية والسلوكية في سورة النور

المطلب الأول: قيمة العفة وصيانة الأعراض

المطلب الثاني: قيمة الحياء وغيض البصر

المطلب الثالث: الاستئذان واحترام الخصوصية

المبحث الثالث: القيم الأسرية وبناء العلاقات في سورة النور

المطلب الأول: حفظ الأسرة من خلال العقوبات والتشريعات

المطلب الثاني: العدل بين أفراد الأسرة والعبيد

المطلب الثالث: القوامة والرعاية داخل الأسرة

ثم الخاتمة والتي بينت فيها النتائج التي توصلت إليها ، كذلك بعض التوصيات التي أوصيت بها ، ثم ديلت البحث بثبت المصادر والمراجع . سائلاً المولى - جل في علاه - أن أكون قد وفقت في هذا العمل البسيط ،

هذا والله أعلم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأول: الخصائص العامة لسورة النور

المطلب الأول : تعريف عام بسورة النور

سورة النور من السور المدنية، أي التي نزلت بعد الهجرة في المدينة المنورة ، وتُعنى غالباً بتنظيم حياة المجتمع المسلم، من خلال تشريعات تفصيلية تضبط العلاقات الاجتماعية، وتؤسس لقيم أخلاقية عالية ، ومن خصائص هذه السورة أنها توجه المجتمع إلى ضبط السلوك العام ، وحمايته من الانحراف ، والانحلال الخلقي ؛ وذلك من خلال تشريعات تحفظ الأعراس، وتُعلي من شأن العفة، وتضع ضوابط للسلوك الفردي والجماعي، مثل: عقوبة الزنا، حد القذف، أحكام اللعان، وآداب الاستئذان . قال تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (1) وهذه من أوضح الدلالات على

(1) - سورة النور ، الآية (2) .

صرامة الشريعة الإسلامية في ردع الفاحشة ، وصيانة المجتمع. ومن خصائص هذه السورة : اشتمالها على أحكام تشريعية دقيقة ، لا سيما فيما يتعلق بالأسرة ، والبيت ، والستر والعلاقات بين الجنسين. فقد تضمنت أحكاماً كثيرة منها : " الزنا ، والقذف ، اللعان بين الزوجين ، آداب الدخول إلى البيوت ، غض البصر ، حفظ الفرج ، آداب الاستئذان للأطفال ، الخدم ، وعدم إشاعة الفاحشة في المجتمع أضف إلى ذلك أنها تربط بين التشريع والتزكية الإيمانية فهي ليست مجرد قوانين جافة، بل تربط بين التشريع الروحي والسلوك الأخلاقي، فهي تؤكد أن الطهارة الظاهرة ينبغي أن تنبع من طهارة القلب ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ 30 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (1) ومن خصائص هذه السورة المباركة أنها تواجه الشائعات، وتحمي الأعراض ، فقد عالجت حادثة الإفك التي تعرّضت لها أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فكانت السورة رداً قاطعاً على من يخوض في الأعراض، وتربية المجتمع على التثبت وعدم نشر الشائعات. قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (2) كما تركز السورة أيضاً على النور المعنوي والإيماني ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (3) وهي تُظهر أن الهداية والصفاء والفضيلة مصدرها نور الله الذي يضيء القلوب، وهذا يعكس مقصد السورة في نشر النقاء الأخلاقي والنور الاجتماعي. ومن أهدافها الاهتمام بالمرأة وبمكانتها فقد تضمنت السورة تشريعات تحفظ كرامة المرأة وتصونها من التعدي، مثل: تحريم الخوض في عرضها، وفرض الحجاب، وتوجيهات للمؤمنات بغض البصر وترك التبرج. وتهدف أيضاً إلى تحقيق الأمن الاجتماعي بتشريعاتها في القيم والسلوك، أيضاً تهدف السورة إلى إقامة مجتمع يسوده

(1) - سورة النور ، الآية 30 ، وجزء من الآية 31 .

(2) - سورة النور ، الآية 15 .

(3) - سورة النور ، الآية 35 .

الأمن والاستقرار، وثُحافظ فيه الأسرة على خصوصيتها، ويتربّى فيه الجيل على الطهارة والتقوى (1).

المطلب الثاني: الطابع الاجتماعي في سورة النور

أولاً: سورة النور تُنظّم العلاقات الاجتماعية وتُقوّي النسيج المجتمعي

فهي تُعنى بتنظيم الحياة الاجتماعية على أسس من العفاف، الطهارة، الستر، الأدب، والتعاون، وهي تسعى لتأسيس مجتمع إسلامي متماسك، يقوم على القيم العليا والسلوك القويم، ويخلو من الفاحشة والانحرافات الأخلاقية.

وقد ابتدأت السورة ببيان حدود الله في قضية الزنا، وهو من أخطر ما يُهدد كيان الأسرة والمجتمع، ثم توالى الأحكام المتعلقة بالقذف، والاستئذان، وغض البصر، والعلاقة بين الجنسين، والستر، ونبذ الشائعات. كل ذلك يعكس طابعها الاجتماعي القوي، كما تقوم السورة على معالجة الانحرافات السلوكية التي تُهدد المجتمع، فقد عالجت انحرافات خطيرة تمسّ المجتمع في صميمه، مثل: " الزنا وما فيه من هدم للأسرة، قذف المحصنات وما فيه من تلوّث للسمعة، نشر الشائعات كما في حادثة الإفك، الفضول والتطفل كما في قضية الاستئذان قبل دخول البيوت.

كل هذه الانحرافات تعالجها السورة بأسلوب تشريعي تربوي يحفظ كيان المجتمع ويعالج أسبابه من الجذور. ومن طابعها الاجتماعي أنها تعني ببناء مجتمع قائم على العفة، والستر، وغض البصر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾ (2) ﴿وَقُلْ

(1) - تفسير الشنقيطي - 7/1 ، الموسوعة القرآنية - 277/6 ، مقال "مقاصد سورة النور" - موقع إسلام ويب يُشير المقال إلى أن سورة النور تركز على التربية والأخلاق، وتشمل أحكاماً حول العفاف والستر، وتجريم الزنى والقذف، وتبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها من حادثة الإفك.

(2) - سورة النور ، الآية 30 .

لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...» (1) عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نظر الفجاءة، فقال : " اَصْرَفْ بَصَرَكَ " (2) فغض البصر، وحفظ الفرج، وفرض الحجاب، وتحديد ضوابط التعامل بين الجنسين، كلُّها تهدف إلى بناء مجتمع نظيف، تسوده العفة ، ولا يُثار فيه الشهوات. ومن طابعها الاجتماعي أنها تحقق الأمن الأسري، والمجتمعي، وذلك بوضعها لقواعد دقيقة تحمي الأسرة من التفكك، وتحفظ البيوت من التعدي، وتُرشد الأطفال إلى آداب دخول البيوت. ومن ذلك : أمر الصغار بالاستئذان في أوقات الخصوصية. قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ...﴾ (3) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " الْإِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ " (4) .

وأيضاً منع إشاعة الفاحشة بين المؤمنين. قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (5) وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (6) وهذا يدل على أن السورة تُراعي أدق التفاصيل الاجتماعية في حياة الفرد والجماعة ، وأيضاً التحذير من إشاعة الفاحشة ، وترويج الإشاعات ، حيث تظهر في السورة معالجة إعلامية تربوية متميزة ، في حادثة الإفك، حيث واجهت السورة محاولة ضرب الصف الداخلي للمجتمع المسلم من خلال نشر الشائعات قال تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ

(1) - سورة النور ، الآية 31 .

(2) - رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب :الأداب، باب :بيان أن نظر الفجاءة لا إثم فيه وأنه يجب صرف البصر عن نظر المحرّمات، حديث رقم.(2159)

(3) - سورة النور ، من الآية 58 .

(4) - رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب :الاستئذان، باب :الاستئذان ثلاث، حديث رقم : (6245) ورواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب :الأداب، باب :الاستئذان ثلاثاً، حديث رقم : (2153) .

(5) - سورة النور ، الآية 19

(6) - رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب :البر والصلة والأداب، باب :من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، حديث رقم.(2699)

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا...) (1) فبيّنت خطورة الكلام بلا علم، والحكم على الآخرين بغير بينة، وهو مما يُفسد الثقة بين أفراد المجتمع. بينت أيضاً كيفية ترسيخ قيم التكافل والإيثار والتعاون ، ثم حُتمت السورة بآية عظيمة تدعو إلى طاعة الله والرسول، وعدم تقديم مصالح الدنيا على الدين، والالتزام الجماعي بشرع الله ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ (2) وهذه الآيات تُرسّخ روح الجماعة والاحترام والتقدير المتبادل.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية والسلوكية في سورة النور

تمثل سورة النور نموذجاً قرآنياً راقياً في ترسيخ القيم الأخلاقية والسلوكية في المجتمع المسلم، وقد ركزت على عدد من المبادئ التي تُسهم في بناء الفرد الطاهر والمجتمع النقي، وتُرسّخ في النفوس معاني العفة ، والستر ، والصدق ، والأمانة. وفيما يلي أبرز هذه القيم:

أولاً: العفة والطهارة

العفة من أعظم القيم التي ركزت عليها السورة، وجعلت من حمايتها مقصداً تشريعياً عظيماً، وذلك من خلال تحريم الزنا، وفرض الحجاب، وغيض البصر.

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (3) وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ " (4) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ

(1) - سورة النور ، من الآية 12 .

(2) - سورة النور ، من الآية 62 .

(3) - سورة النور ، الآية 2

(4) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : الرقاق، باب : حفظ اللسان ، رقم : (6474) ورواه أحمد في المسند رقم (22496)، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب : الزهد، باب : ما جاء في حفظ اللسان وقال بحديث حسن صحيح.

إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ" (1) ، حيث نفى النبي - صلى الله عليه وسلم - الإيمان عن مرتكب هذه الجرائم حال ارتكابها ، وذلك لشناعتها ، فهذه الجرائم تفسد المجتمع ، وتؤدي إلى التفكك الأخلاقي ، وإلى المشاكل بين العائلات لا سيما في مجتمع محافظ مثل مجتمعنا فمثل هذه الجرائم لا تمر مرور الكرام وإنما يترتب عليها أمور خطيرة لا تحمد عقباها وقال تعالى : في مسألة غض البصر: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (2) ، فغض البصر سبيلٌ لحفظ الفرج ، وهذه الجرائم كالزنا تبدأ بالنظر ، كما قيل النظر بريد الزنا ، وغض البصر وحفظ الفرج درعان لحماية المجتمع من الفواحش والانحرافات (3) .

وجاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" (4) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : يا علي، لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ" (5) .

ثانياً: التثبت وعدم نشر الشائعات

من القيم المهمة التي أكدت عليها السورة هي التثبت من الأخبار وعدم الانسياق خلف الشائعات، خصوصاً تلك التي تمس الأعراض، كما في حادثة الإفك ، وما حدث فيها من اتهام أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في عرضها وقد نهانا المولى على التسرع ونقل الأخبار وتصديقها ، بل علينا أن نكذب هذه الأخبار ونظن الخير ، قال تعالى: ﴿لَوْلَا

(1) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يزنّي الزاني حين يزنّي وهو مؤمن ، رقم: (2475) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن الزاني والسارق ونحوهما ، رقم: (75) (2) - سورة النور ، الآية 30 .

(3) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق شاکر، 95/18 .

(4) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم رقم: (5066) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تآقت نفسه ، رقم الحديث: (1400) .

(5) - أخرجه الإمام أبو داود في سننه (رقم: 2149)، والإمام الترمذي (رقم: 2777)، والإمام أحمد في مسنده (رقم: 22991) ، وحسنه الألباني .

إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا... (1) ، وقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾ (2) وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من نقل الكلام بغير تحقق، فقال: " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " (3) فحري بالمسلم أن يكون عاقلًا متزنًا ، يظن الخير ويدافع على إخوانه من المؤمنين ، والمؤمنات ، ولا يتسرع ويسير مع ركب الغافلين الذين ينهشون في أعراض العباد ، ولا يراعون حرمة لمسلمة ولا لمسلم .

ثالثًا: الستر وعدم التجسس على الناس

الستر من القيم الكبرى في السورة ، ومن مظاهره تحذير المؤمنين من انتهاك خصوصيات البيوت، وقد دعاهم القرآن الكريم إلى وجوب الاستئذان ، عند دخول بيوت الغير ، وهذا من الأدب الفطري الذي تتفق عليه الشرائع السماوية والأعراف البشرية فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (4) وجاء في السنة المطهرة قوله - صلى الله عليه وسلم - " إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ " (5) فلا يحل للمسلم أن يقتحم على الناس بيوتهم دون استئذان (6)

رابعاً : الحياء وآداب اللباس والحجاب

دعت السورة المباركة إلى الحياء في الملبس والسلوك، وفرضت الحجاب على النساء، ومنعت التبرج وحذرت من خطورته فالتبرج والسفور والعري ليس من سمات المجتمع المسلم فلا يليق بمجتمع منضبط سائر على منهج الله أن يطلق العنان لبعض السفهاء في هذا الفساد العظيم ، وماذا ستغير النصائح والمواعظ إذا تركت المرأة متبرجة

(1) - سورة النور ، من الآية 12 .

(2) - سورة النور ، من الآية 15 .

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : المقدمة، باب : النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم 5.

(4) - سورة النور ، الآية 27 .

(5) - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الأدب، باب في التجسس، حديث رقم (4888) ، وأخرجه أحمد في المسند حديث رقم (18987) وصححه الألباني في صحيح أبي داود حديث رقم (4888) .

(6) - جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ، تحقيق أحمد شاكر، دار هجر، 1992م. 22/، 287 ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾.

سافرة متعطرة تمر من أمام الرجال غير المحارم فقد قال تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (1) بل وفرض الله الخمار في هذه السورة فقال : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (2) وجاء في السنة المطهرة أيضاً قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِنْ لِكُلِّ دِينَ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ " (3) وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيضاً : " الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ " (4) - من خلال هذه النصوص الكريمة يتبين لنا أن الحياء خلق عظيم ينبغي للمسلمة أن تتحلى به ، ولا تكشف جسدها أمام الرجال الأجانب (5)

خامساً : احترام خصوصية الأسرة وحرمة البيوت

من القيم السلوكية العظيمة : احترام خصوصية المنازل وآداب دخول الأطفال والخدم، لا سيما في أوقات الراحة. فالمنازل عورات ، ولا ينبغي الدخول إليها إلا بالاستئذان ، وهذا أيضاً من السلوك الراقي المحترم فينبغي تربية النشء عليه ، لذا قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تُدْنِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾ (6) وهذه تربية جيدة للأطفال والعبيد على الأدب والحياء، تحفظ للأباء والأمهات حرمتهم (7) وتحفظ للبيوت أسرارهم فكل بيت له خصوصيات لا يريد لأحد أن يطلع عليها وقد نبه عليه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ " (8) ، فالنظر إلى بيوت الناس بغير إذنهم لا يجوز عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً .

(1) - سورة النور ، من الآية 31 .

(2) - سورة النور ، من الآية 31

(3) - أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (رقم 4182)، والإمام الطبراني في "المعجم الكبير" (رقم 10780)، والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" (رقم 7716) . وقد صحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في "صحيح ابن ماجه"

(4) - أخرجه الترمذي في صحيحه رقم : 2009 ، وصححه الألباني .

(5) - جامع البيان، للطبري ، 18، / 117 ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 6/ 42 .

(6) - سورة النور ، من الآية 58

(7) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لا بن حجر العسقلاني، 7/11 ، شرح حديث «الاستئذان ثلاث "، شرح صحيح مسلم، للنووي ، 123/14 ، عند شرح حديث «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر" .

(8) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الاستئذان، باب : إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ، حديث رقم 6241 ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : الأداب، باب : الاستئذان، حديث رقم 2156 .

سادساً : طاعة الله ورسوله والالتزام الجماعي بالأداب

خُتِمت السورة بتوجيه عام للمؤمنين بطاعة الله ورسوله، والسير على منهجه المبارك، فمن أطاع الله ورسوله فاز فوزاً عظيماً في الدنيا والآخرة ، أيضاً الالتزام بأدب الجماعة واحترام المسؤولين مما يُسهم في وحدة الصف (1) . قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ...) (2) .

تُعد القيم الأخلاقية والسلوكية من أبرز ما تناولته سورة النور، حيث رسمت ملامح المجتمع الإسلامي النظيف الطاهر الذي تُصان فيه الأعراض، وتُحفظ فيه الحرمات، وتُرَبَّى فيه النفوس على الحياء وغيض البصر والاستئذان، في منظومة متكاملة من الأخلاق والسلوك المنضبط (3) .

المطلب الأول: قيمة العفة وصيانة الأعراض

تُعد العفة من أعظم القيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام ، واهتمّ بغرسها في النفوس، لما لها من أثر عظيم طيب في تركية الفرد، وصيانة المجتمع من الانحلال، وحفظ الأعراض والأسر من التفكك والانهيار، وقد اعتنى الإسلام بالعفة عناية عظيمة ، لا سيما في سورة النور فالإنسان العفيف محترم يحترمه كل عاقل ؛ لأنه يُعمل عقله ، ويكبح شهوته ، كما أمره الله - تبارك وتعالى - وبالتالي فهو جذير بالاحترام والتقدير . والعفة من مقاصد الشريعة العامة ؛ لأنها تحفظ للمجتمع كرامته ، وقد شرعت بعض الأحكام لهذا الغرض فمثلاً :

أولاً :العفة مقصد شرعي عظيم

(1) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ، 152/18 ، عند تفسير آية [النور: 51]. 168/18 ، عند تفسير آية [النور: 54]

(2) - سورة النور ، من الآية 62 .

(3) - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 60/6 ، عند تفسير آية [النور: 51]

العفة تعني: ضبط النفس عن الشهوات المحرّمة، والابتعاد عن أسباب الفتنة والانحراف، وهي خلق كريم يدل على قوة الإيمان، وطهارة القلب، وسمو النفس. وقد جعل الإسلام العفة من صفات المؤمنين الصادقين (1) ، فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿١٠١﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (2) وفي سورة النور، شددت الآيات الأولى على تحريم الفاحشة، وعاقبت الزناة بالجلد، ببياناً لخطر هذه الجريمة على المجتمع قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (3) .

ثانياً: وسائل حماية العفة في سورة النور

ولم تكتفِ السورة بالعقوبة المشرعة ، بل وضعت وسائل وقائية تحفظ بها المجتمع من الوقوع في الفاحشة، ومن ذلك :

1 - غض البصر ، فالبصر أول الطريق إلى الفاحشة ، فيبدأ الأمر بالبصر ، والتدقيق في المنظور إليها ، ثم تحريك الغرائز ، التي تتحرك تلقائياً بعد البصر مباشرة وهكذا تبدأ السلسلة ، لذا قال الخبير تبارك وتعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...﴾ (4) ، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (5) ، وهذا توجيه مباشر إلى الرجال والنساء معاً، بأن الطريق إلى العفة يبدأ من ضبط النظر (6) .

2. فرض الحجاب ومنع التبرج: المرأة هي المسؤولة الأولى على الانحرافات التي تحدث لذا بدأ بذكرها في بداية السورة بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ فإذا ما ترك للمرأة الأمر في أن تلبس ما تشاء فإنها في الغالب تميل إلى التبرج والسفور، وهذا يدمر

(1) - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي ، ، 176/23 ، عند تفسير آية [النور: 2].

(2) - سورة المؤمنون ، من الآية 5،6 ،

(3) - مطلع سورة النور .

(4) - سورة النور ، من الآية 30 .

(5) - سورة النور ، من الآية 31 .

(6) - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ، 122/5 ، في شرح حديث: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج " .

المجتمع ويثير الغرائز عند الرجال ، ويفسد الشباب خاصة والرجال عامة ، ويفتح باباً كبيراً للشر - ونعوذ بالله - ، كما ورد في الحديث عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رضي الله عنهما - عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : " مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " (1) لذا شدد الإسلام على لباس المرأة ، فقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (2) ، وذلك حماية للمرأة، وصوناً لها من أن تكون أداة للفتنة وداعية لها ، وحفاظاً على المجتمع من شر المرأة المنحرفة فإن صلاح المجتمع يكمن في صلاح نساءه .

3 - الأمر بالزواج والإعفاف: رغب الإسلام في الزواج ، حيث يطفى الإنسان شهوته بالحلال الذي أباحه الله - تبارك وتعالى - له ، ولا ينظر - إن كان عاقلاً - إلا لما أحل الله له ، فمن حكمة الله أنه جعل قناة نظيفة طاهرة يمكن للإنسان أن يلجأ إليها، ولا يتجه إلى ما حرم الله - تعالى - قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ... إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ... ﴾ (3)

فالزواج هو الوسيلة الشرعية للعفاف، وقد رغب فيه الشرع. وحث عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " النَّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأَمَمَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيُنكِحْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ " (4) ، هذا توجيه نبوي صريح في ترغيب الشباب في الزواج (5)

(1) - رواه البخاري في صحيحه كتاب : النكاح، باب : ما يتقى من شؤم المرأة، رقم 5096 ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب : الرقاق، باب : أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، رقم 2740 .

(2) - سورة النور ، من الآية 31 .

(3) - سورة النور ، من الآية 32

(4) - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب : النكاح، باب : ما جاء في فضل النكاح ، حديث رقم (1846) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (2/161) وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (1480)

(5) - الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، 8/2 في بيان مقاصد الشريعة لحفظ العرض والنسل.

ثالثاً: صيانة الأعراض وردع القاذف لقد شددت السورة على حماية الأعراض، فجعلت القذف من الكبائر، وعاقبته بالجلد. فلا يحل لمسلم أن ينتهك عرض مسلم أو مسلمة وذلك برميه بالزنى ، أو بمقدماته فقد شدد الشارع في هذه السورة على الأمر فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (1)

وفي السنة المطهرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالنَّوَالِي يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ " (2) فمن أهم مظاهر العفة: أن يكف الإنسان لسانه عن الطعن في أعراض الآخرين، وأن يسعى لستر العيوب لا فضحها.

رابعاً: منزلة العفة في السنة النبوية

حثَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - على العفة، وربطها بالإيمان، فقد روى سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ " (3) والعفة تكون أيضاً بالاستغناء عما في أيدي الناس ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَيِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ " (4) كما مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - من لا يسأل الناس شيئاً، ومن يصبر ويترفع عن الحرام، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا

(1) - سورة النور ، الآية 4

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: اجتناب الوصايا المضرة، حديث رقم (2766) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم (89)

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، حديث رقم (6474)

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الزكاة ، باب : الاستغفار عن المسألة رقم الحديث (1469) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة باب : فضل التعفف والصبر رقم الحديث : (1053)

هِيَ الْمُعْطِيَّةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ " (1) . يتضح لنا من خلال هذه النصوص المباركة أن العفة مقصد شرعي عظيم ، ومطلب إلهي كبير وأكد ذلك رسولنا الكريم من خلال هذه الأحاديث وغيرها على أهمية العفة(2)

المطلب الثاني: قيمة الحياء و غرض البصر

أولاً: الحياء ، الحياء : هو خُلق يبعث على فعل ما يَجْمَلُ ويزيّن، وترك ما يُقَبِّحُ ويشين، وهو من الإيمان كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (3) ، هذه الآية تشمل الحياء العملي بحفظ النظر والجوارح. وجاء في الحديث. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " الْإِيمَانُ بِضْعٍ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " (4) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الْإِيمَانُ بِضْعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " (5) ، فحري بنا أن نلتزم بالحياء بعد هذه النصوص القرآنية والحديثية (6)

ثانياً: غرض البصر

غرض البصر : هو كَفَّ العَيْنِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وصرفها عما يثير الشهوة أو يفسد القلب. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الزكاة، باب : الاستغفار عن المسألة، حديث رقم (1429) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، حديث رقم (1033)
(2) - إحياء علوم الدين، للغزالي 23/2 كتاب : آداب النكاح، يتحدث عن العفة وصون الفرج
(3) - سورة النور ، الآية 30 .
(4) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الإيمان، باب : أمور الإيمان، حديث رقم (9) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان، باب : بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، حديث رقم (35)
(5) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الإيمان، باب : أمور الإيمان، حديث رقم (9) ، وأخرجه مسلم في صحيحه (، كتاب : الإيمان، باب : بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، حديث رقم (35)
(6) - مدارج السالكين، لابن القيم ، 301/2 عند حديثه عن منازل الإيمان والحياء كمنزلة قلبية عظيمة.
شرح صحيح مسلم للنووي ، 63/1 ، في شرح حديث " الحياء شعبة من الإيمان"

(1) ، وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نظر الفجأة، فقال: " اصْرِفْ بَصْرَكَ " (2) ومن ثمرات غض البصر أنه يورث نوراً في القلب ، كما يحفظ الإنسان ، ويبقى من الفواحش ، ويعين على الخشوع في الصلاة ، فبدل أن يضل الإنسان يفكر فيما رأى فإنه ينصرف إلى صلاته (3)

المطلب الثالث: الاستئذان واحترام الخصوصية

أولاً: مفهوم الاستئذان واحترام الخصوصية ، الاستئذان : طلب الإذن قبل دخول بيت أو مكان ليس ملكاً لك، للتأكد من رضا صاحب المكان قبل الدخول. واحترام الخصوصية : عدم التطفل على حياة الآخرين أو كشف أسرارهم أو الاطلاع على ما يخصهم دون إذن. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلَهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (4) هذه الآية وضعت قاعدة أساسية: لا يجوز دخول بيت الغير إلا بعد الاستئذان وإلقاء السلام، صيانةً لحرمة البيوت، والاستئذان في أوقات العورات أكد فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (5) وهذا يبيّن أن الإسلام حتى مع أهل البيت يراعي أوقات الخصوصية. عن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذانُ مِنْ أَجْلِ البَصْرِ " (6) أي: لئلا يرى الداخل ما لا يحل له النظر إليه. وعن أبي

(1) - سورة النور ، 31 .

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الأداب ، باب : غض البصر، حديث رقم (2159) ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : النكاح، باب: ما يؤمر به من غض البصر، حديث رقم (2148) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : الأدب، باب : ما جاء في غض البصر، حديث رقم (2777)

(3) - مجموع الفتاوى لابن تيمية ، 377/15 ، تحدث عن أثر غض البصر في طهارة القلب.

(4) - سورة النور ، الآية 27 .

(5) - سورة النور ، الآية 58 .

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الاستئذان، باب : الاستئذان من أجل البصر، حديث رقم (6241) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب : الأداب، باب : الاستئذان، حديث رقم (2156) .

موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
"الاستئذان ثلاثٌ، فإن أُذنَ لك وإلا فارجع" (1) .

الحكم والفوائد الاجتماعية من الاستئذان : حفظ العورات ومنع الاطلاع على ما لا يجوز؛ لأن البيوت عورات وقد تقع عين الإنسان على ما لا يحل له ، أيضاً صيانة لكرامة أهل البيت ، فقد يكونوا في حال يمنعهم من استقبال الغريب ، كذلك تعزيز الثقة بين الأسر فلا يطلع أحد على خصوصيات أحد ، وأيضاً منع سوء الظن مما قد يراه الناظر ويفسره ربما على هواه (2)

المبحث الثالث: القيم الأسرية وبناء العلاقات في سورة النور

إن القيم الأسرية وبناء العلاقات من المحاور الرئيسية التي اهتمت بها السورة، فقد وضعت أسس الحياة العائلية السليمة، وأرست قواعد التعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع، بما يضمن الطهارة والعفة والاحترام المتبادل.

أولاً: مفهوم القيم الأسرية في سورة النور

القيم الأسرية هي المبادئ والتوجيهات التي تنظم العلاقة بين أفراد الأسرة على أساس المودة ، والرحمة ، والاحترام ، وحفظ الحقوق . وسورة النور جاءت لترسيخ هذه القيم لحماية المجتمع من الانحلال وحفظ الأعراض.(3)

ثانياً: أبرز القيم الأسرية في السورة

(1) - أخرج البخاري في صحيحه ، كتاب : الاستئذان، باب : الاستئذان ثلاثاً، حديث رقم (6245) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الأداب، باب : الاستئذان، حديث رقم (2153) .

(2) - *أدب الدنيا والدين*، للماوردي ص244 ، تطرق لمسألة الأدب في الدخول والاستئذان. *التفسير المنير*، وهبة الزحيلي 71/18 عند تفسير آيات الاستئذان وحرمة البيوت.

(3) - *إعلام الموقعين*، لابن القيم 3/ 195 باب : حفظ الأعراض وأهمية العفة في الأسرة. ، *إحياء علوم الدين*، للغزالي 23/3 كتاب : آداب النكاح وحقوق الزوجين وحماية الأسرة.

الزواج وتيسيره قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1) وهذا توجيه لتشجيع الزواج ؛ لأنه يحصن الفرج ويقوي الروابط الأسرية. أيضا دعا إلى العفة والصبر على الزواج لمن لا يستطيع قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْزِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (2) وهذه دعوة لمن لم يتيسر له الزواج إلى الصبر والعفة حتى يفتح الله عليه. كذلك الاستئذان في البيوت وأوقات العورات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (3) وقال تعالى : ﴿لَيْسَتَّذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ (4) هاتان الآيتان تنظمان العلاقة داخل البيت لحفظ خصوصية الأسرة. دعت أيضاً السورة المباركة إلى غض البصر وحفظ الفرج فقال تعالى: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْزُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (5) ﴿وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْزُبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (6) هذه القيم تحفظ العلاقات داخل الأسرة والمجتمع من الانحراف. كما دعت إلى حماية السمعة وصون الأعراض قصة حادثة الإفك وتبرئة السيدة عائشة -رضي الله عنها- النور: الآيات " 11-20 " تؤكد أن إشاعة الفاحشة تهدم البيوت، وأن صون اللسان وحفظ العرض أساس في استقرار الأسرة (7) .

المطلب الأول: حفظ الأسرة من خلال العقوبات والتشريعات

أولاً: التشريعات التي تحفظ الأسرة

1. تشريع حد الزنا قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ هَدَىٰ عَذَابُهُمَا

(1) - سورة النور ، الآية 32 .

(2) - سورة النور ، الآية 33 .

(3) - النور الآية 27 .

(4) - سورة النور ، الآية 58 .

(5) - سورة النور ، من الآية 31 .

(6) - سورة النور ، الآية 31 .

(7) - خلق المسلم لمحمد الغزالي ، ص 94-102 القيم الأسرية وأثرها في تربية الأبناء والحفاظ على المجتمع. التفسير المنير، وهبة الزحيلي - 18 / 42-61) تفسير آيات النور المتعلقة بالقيم الأسرية: الزواج، العفة، الاستئذان، واحترام البيوت.

طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ هذه العقوبة تطهر المجتمع من الفاحشة، وتحفظ الأعراض من الانتهاك.

2. تشريع حد القذف قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (2)
هذه العقوبة تصون سمعة البيوت وتحمي الأسرة من الشائعات المدمرة.

3. تشريع اللعان بين الزوجين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (3) وهذا تشريع خاص يحل النزاع بين الزوجين عند اتهام أحدهما الآخر بالزنا مع انعدام الشهود، حماية للأسرة من الظلم أو الفضيحة بغير بيّنة (4).

وقد أكدت السنة النبوية هذه التشريعات فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: الثَّيْبُ بِالثَّيْبِ، جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، جَلْدُ مِائَةٍ، وَنَفْيُ سَنَةٍ " (5) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ ، وذكر منها : " وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ " (6) .

ثانياً : الأثر الاجتماعي لبناء العلاقات الأسرية في السورة ، لا شك أن لبناء العلاقات الأسرية أثر عظيم يتجلى في الآتي :

(1) - سورة النور ، الآية 2 .
(2) - سورة النور ، الآية 4 .
(3) - سورة النور ، الآية 6 ، 7 .
(4) - مقاتب الغيب (التفسير الكبير)، الرازي 176 /23 وما بعدها ، تناول المقاصد الاجتماعية والتشريعية لحفظ الأسرة.
(5) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الحدود، باب : حد الزنا، حديث رقم (1690) وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب : الحدود، باب : في الرجم، حديث رقم (4414) وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب : قطع السارق، حديث رقم (4904) .
(6) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الوصايا، باب : قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾، حديث رقم (2766) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان، باب : بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم (89) .

تحصين المجتمع من الانحرافات. وذلك بتعزيز الثقة بين الأزواج وأفراد العائلة ، ونشر الاحترام بين الأجيال ، والحرص على التربية السليمة ، وتكوين بيئة طاهرة تهيئ لنشأة جيل صالح.

المطلب الثاني: العدل بين أفراد الأسرة والعبيد

أولاً: العدل بين أفراد الأسرة . سورة النور وضعت ضوابط دقيقة تحفظ الحقوق داخل الأسرة، وهي من صور العدل التي أمر الله بها ومن هذه الصور :

1. حماية الأعراض من الظلم والقذف قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ (1) فهذا التشريع يحمي المرأة والأسرة من الظلم، ويضمن لهما عدل المجتمع في حفظ الكرامة.

2. العدل بين الزوجين عند الخصومة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (2) فشرع الله "اللعان" كحل عادل يحفظ حق الزوج إذا لم يجد شهوداً، ويحفظ حق الزوجة من العقوبة دون بينة.

3. العدل في حفظ الخصوصية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ (3) وهذا يشمل احترام خصوصية كل فرد من أفراد الأسرة، وهو من صور العدل الاجتماعي.

ثانياً: العدل مع العبيد والخدم

سورة النور اهتمت بحقوق العبيد والخدم وأمرت بحسن معاملتهم وذلك بـ :

(1) - سبق تخريجها .

(2) - سورة النور ، من الآية 6 .

(3) - سورة النور ، 27 .

1. إعطاؤهم حقهم في الحرية إذا رغبوا ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (1) الآية تأمر بالمكاتبة وهي : (الاتفاق على تحرير العبد مقابل مال يدفعه) ، هذا إذا كان العبد قادرًا ومستقيمًا، وهو من أعظم صور العدل والرحمة.

2. تحريم إكراه الإمام على الفاحشة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ (2) هذه الآية تحمي الإمام من الاستغلال الفبيح، وتؤكد أن كرامتهن مصونة.

وفي السنة النبوية يتجلى أيضاً موضوع العدل الأسري ومع العبيد فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إنَّ الْمُفْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ - وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وُلُّوا" (3) .. وهذا يشمل الأهل والخدم ومن تحت يد الإنسان. وقال - صلى الله عليه وسلم - عندما كان يوجه أبا ذر إلى حسن معاملة العبيد فقال : " يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" (4)

(1) - سورة النور ، 33

(2) - سورة النور ، من الآية 33 .

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ، حديث رقم (1827).

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم (30) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب : إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس، حديث رقم (1661) .

وأما الأثر الاجتماعي للعدل في سورة النور فهو يحقق الأمن الأسري ويقضي على النزاعات. ويصون كرامة الإنسان مهما كان وضعه الاجتماعي (حرًا أو عبدًا). ويغرس المودة والاحترام بين أفراد المجتمع (1).

المطلب الثالث: القوامة والرعاية داخل الأسرة

أولاً: معنى القوامة والرعاية ، القوامة :هي مسؤولية القيادة والتدبير والحماية التي يتحملها الرجل تجاه أسرته، بما أعطاه الله من تكليف وفضل، وبما أنفق من ماله. الرعاية :هي الإحاطة بأفراد الأسرة بالعناية والرحمة والحرص على مصالحهم الدينية والدنيوية. والقوامة ليست تسلطاً أو استبداداً، بل هي تكليف ومسؤولية، والرعاية جزء أصيل منها.(2)

ثانياً: ملامح القوامة والرعاية في سورة النور

سورة النور لم تذكر لفظ "القوامة" صراحة (كما في آية النساء: 34)، لكنها وضعت تشريعات عملية تجسد معاني القوامة والرعاية ومن هذه التشريعات :

1 - توجيه الأسرة إلى الطهارة و غرض البصر ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ 30 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (3) هنا الخطاب موجه ضمناً بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رب الأسرة ، والمسؤول عليها بأن يحافظ على أهل بيته بتوجيههم إلى الستر والحجاب واللباس الشرعي ، الذي يرضاه رب العالمين .

(1) - كتاب "الفقه الميسر" 1444/1 ، يتناول وجوب العدل بين الأولاد في العطفية باتفاق الفقهاء، ويشترط التسوية بينهم دون تفضيل أحد على الآخر. ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية" 5462/22 ، يؤكد على وجوب العدل بين الزوجات، ويستدل بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ ، فَصَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَثِقَةٌ مَائِلٌ " .

(2) - تفسير السعدي - الجزء 4، الصفحة 84

(3) - سورة النور ، 31، 30 .

2 الأمر بتزويج من لا يستطيع العفاف ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴾ (1) هذا تشريع يجعل وليّ الأمر في الأسرة راعياً لشؤون الزواج حماية للأبناء من الفتنة وذلك بالبحث لأبناءه وبناته عن الشريك الكفو وتيسير أمر تزويجهم .

3. تنظيم دخول أفراد الأسرة إلى البيوت ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَدِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ (2) هذه الآية تعلم ربّ الأسرة أن يربي أهله وعبيده - إن وجدوا - على احترام الخصوصية، خاصة في أوقات العورات ، فلا يسمح لهم أن يفتحوا بيوت الناس دون استئذان ، أيضاً يستأذنون حتى عند دخولهم لوالديهم وأولبيوتهم .

ثالثاً: السنة النبوية المفسرة قال - صلى الله عليه وسلم - : " كُنُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُنُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " (3) فهذا حديث جامع مانع يبين المسؤولية الملقاة على عاتق كل واحد منا ، وأنه مسؤول على من هو تحته ، وبين لنا الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن المسؤولية يجب أن تكون مقترنة بحسن خلق ورحمة وإحسان ، وليس بتجبر أو تسلط فقال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة ، قال : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " (4) ، وهذا يبين أن القوامة ليست قهراً ولا تسلطاً ولا تجبراً ، وإنما رحمة ومحبة وإحساناً .

(1) - سورة النور ، الآية 32 .

(2) - سورة النور ، الآية 58 .

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن ، حديث رقم (893) وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، حديث رقم (1829)

(4) - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : المناقب ، باب : فضل أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم : (3895) وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب : النكاح ، باب : حسن معاشره النساء ، حديث رقم (1977) ، وأخرجه الدارمي في سننه ، كتاب : النكاح ، باب : في حق المرأة على الزوج ، حديث رقم (2315) وصححه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم (3314)

رابعاً: الأثر الاجتماعي للقوامة والرعاية

إقامة الأسرة على أساس من المسؤولية والانضباط. فالأسرة تحتاج إلى ضبط ولا يعي هذه المسؤولية إلا رب الأسرة ، فيوجه أبنائه إلى الخير ، ويحميهم من الانحراف، ويقوم الوالد كذلك بنشر المودة والرحمة بينهم ، وتقوية الروابط بينهم

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطيبة في آيات سورة النور، وبيان القيم الاجتماعية المتنوعة التي تناولتها، تبين لي بوضوح أن هذه السورة تمثل دستوراً قرآنياً متكاملًا لبناء المجتمع المسلم، من خلال غرس القيم الأخلاقية، وتنظيم العلاقات الأسرية، وضبط السلوك العام، وتحقيق الانضباط الاجتماعي وفق منهج إلهي محكم.

لقد ركزت السورة على صيانة الأعراض، وتربية النفوس على الحياء والعفة، وتأسيس الأسرة على الطهارة والعدل، وتنظيم الحياة الاجتماعية العامة بالاستئذان والاحترام والطاعة. كل ذلك ضمن إطار متكامل يربط بين الشريعة والأخلاق، وبين التشريع والوجدان.

أهم النتائج:

1. سورة النور ذات طابع اجتماعي واضح، حيث وضعت قواعد أخلاقية وتشريعية لبناء المجتمع الإسلامي.
2. ركزت السورة على قيم العفة، الطهارة، الحياء، وضبط العلاقات الأسرية، لتكوين بيئة أسرية متوازنة.
3. نظمت العلاقات داخل المجتمع من خلال تشريعات مثل غض البصر، الحجاب، الاستئذان، الطاعة، وغيرها.

4. أكدت السورة أن الشائعات والافتراءات الباطلة خطرٌ على الأمن المجتمعي، وحدّرت منها بشدة.
5. سعت السورة إلى تحقيق التوازن بين العقوبة والتوبة، وبين الزجر والرحمة، بما يعكس عدالة الإسلام.

التوصيات:

1. التمسك بالقيم الاجتماعية التي جاءت في سورة النور، كالعفة، والحياء، وعض البصر، والاستئذان، وصيانة الأعراض، لأنها تشكل أساس الاستقرار الأسري والمجتمعي.
2. تعزيز التربية القرآنية في المناهج التعليمية، وخاصة في مجال الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، لتنشئة جيل واع يحفظ حرّمات الله.
3. تفعيل دور الإعلام في نشر القيم التي دعت إليها سورة النور، والابتعاد عن المظاهر السلبية التي تهدم الأسرة وتضعف الروابط الاجتماعية.
4. الاهتمام بالأسرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع، والعمل على ترسيخ معاني القوامة والعدل وحسن المعاشرة بين أفرادها.
5. تشجيع الدراسات الأكاديمية حول القيم القرآنية في السور الأخرى، لتوسيع دائرة البحث في موضوع "القيم الاجتماعية في القرآن الكريم".
6. إبراز السنة النبوية كشارحة ومبينة لأحكام سورة النور، وباقي سور القرآن الكريم لما لها من دور أساسي في تفصيل القيم الاجتماعية وترجمتها إلى واقع عملي.

هذا ما جادت به قريحتي في هذا الموضوع مع الاستعانة بالوسائل المتاحة فإن كان صواب فمن الله ، وإن كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ،

والله أعلم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحث

المصادر والمراجع

أولاً: كتب التفسير

1. جامع البيان في تأويل آي القرآن. لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، دار هجر، الطبعة الأولى، 2001م.
2. الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.
3. تفسير القرآن العظيم. ، لإسماعيل بن عمر ابن كثير ، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، 1999م.
4. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
5. معالم التنزيل. الحسين بن مسعود البغوي ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ثانياً: كتب علوم القرآن والدراسات القرآنية

6. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة.

7. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت.

8. مقاصد سور القرآن لعبد المجيد الطيبي، - سورة النور أنموذجًا. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 20، 2007م.

ثالثًا: كتب في القيم والتربية الإسلامية

9- منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ، دار الشروق، القاهرة، 1995م.

10- أصول التربية الإسلامية وأساليبها. لعبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر، دمشق، 2000م.

11- القيم الأخلاقية في القرآن الكريم. لسعود بن عبد الله الفنيسان ، دار ابن الجوزي.

العفة في ضوء القرآن الكريم ، لإبراهيم الدويش ، دار الوطن للنشر.

رابعًا: بحوث علمية ومجلات محكمة

12- القصص القرآني وأثره التربوي لمحمود شلتوت ، ضمن أعمال مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر الشريف.

13- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، بحوث حول القيم الأسرية والاجتماعية في السور المدنية.

بحث: القيم الاجتماعية في سورة النور – دراسة تحليلية ، للباحثة: عائشة عتيق المالكي. منشور في: مجلة الدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود، 2020م.

هذا والله أعلم

